موقف
الدولة العثمانية
من
الدعوة الوهابية
١٧٤٤ - ١٨١٩

دكتور
عبد الله ربيعي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

موقف الدولة العثمانية من الدعوة الوهابيـة
١٧٤٤ - ١٨١٩

تمهيـد :

لقد كانت شبه الجزيرة العربية تخضع من الناحية الشكلية للسيادة العربية خلال القرن السادس عشر بعد سيطرة العثمانيين على الحجاز ، وان كان قد تركز على سواحلها الواقعة على البحـر الاحمر - وبغض النظر عن طرق الحج التى كانت تستخدمها قوافل الحج الشامى والمصـرى الى الحجـاز .

ولقد حاول السلطان سليمان عام ١٥٥٠ أن يخضع القبائل فى هذه المناطق فأمر فاعد حملة كبيره بقيادة باشا دمشق ، والذى امتثل لامر السلطان ، ولكن كان مصير تلك الحملة الفشل ، حيث استعانت بمرشدين من البدو والذين قادوها الى مناطق الحرب مما أثار الجنود فتمرد بعضهم فضلا عن تفشى الحمى بينهم .

لهذا صرفت الدولة العثمانيه النظر عن التوسع فى وسط شبه الجزيرة العربية الذى بقى مستقـلا بقبائله ، وفى نهاية القرن السابع عشر كانت نجد وشبه الجزيره العربية مقسمة الى عدة أقسام أو مناطق مستقله تحكم نفسها برآسة شيخ احدى القبائل تحميه عصبيته .

وكانت المعرفة بالدين الحنيف بين هذه القبائل معرفة سطحية ، فقد أهملت شعائره بين سكـان هذه الأقسام أو المناطق بل توقف العمل بالشعائر الدينيه من الناحية الفعلية ، حتى أن الكثير مـن العادات المتصله بعبادة الوثنيه ، كعبادة الشمس والقمر والنجوم وغيرها التى كانت منتشره قبل ظهـور الاسلام ، كانت لا تزال تجد مكانا لها بين القبائل [1] .

ومن تلك الظـروف الدينيه كانت الدعـوة الوهابيـة .

- الدكتور محمد انيس : الدولة العثمانيه والشرق العربى ص ٢٢٨ - مكتبة الانجلـو المصريه ١٩٨٥ .

ننوه بأن بعض الكتب الاجنبيه الوارده فى هذا البحث مترجمه ولكننا اعتمدنا على النص الاجنبى ما عدا مؤلف الدكتور احمد أبو حاكمه فرجعنا الى النص الانجليزى والترجمة ايضـا .

الدعوة الوهابية : هى نسبة الى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على من قبيلة تميم (١) .

ولد صاحب الدعوة السلفيه فى العيينه عام ١١١٥ هـ / ١٧٠٣م بوادى حنيفه وهى قريه شمال غرب الرياض ، وتتلمذ منذ حداثته على يد والده ، حيث كان والده يتولى قضاء حريملاء ويعد من علماء عصره ، فدرس عليه كتب الفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل الشيبانى ، وأحاط فى خلفه ابيه بكتب السلف ، ورغبه منه فى المزيد من العلم قرأ كتب ابن تيميه وتلميذه ابن القيم ، وقد تأثر الطالب محمد بن عبد الوهاب بكتب ابن تيميه الى حد أنه نسخ بعض رسائل ابن تيميه بخط يده ، وهى موجوده بالمتحف البريطانى بلندن (أ) .

ولم يقتصر الطالب ابن عبد الوهاب على ذلك ، بل أخذ بنظام الرحلة العلميه فتوجه الى بلاد الحجاز ، فبدأ رحلته بادائه فريضة الحج فهاله ما رأى من بدع الحجيج ومراسم التعظيم للقبور والاستعانة بالموتى ، ثم ترك مكه وتوجه الى المدينه والتى فيها تلقى دروس الفقه والحديث من الشيخ محمد حياة السندى ، ثم غادرها الى البصره وفى طريقه للبصره مكث فتره من الزمن مع بعض علماء نجد حيث درس النحو والفقه والحديث وفى البصره درس فيها علوم الحديث واللغه على الشيخ محمد المجموعى ، وقد شاهد بعينى رأسه تعظيم الشيعة للاضرحة والمزارات ، فاستنكر ذلك مما جعله يتعرض للمضايقات من عامة أهلها ، فآثر الخروج منها ورحل الى بغداد وأقام فيها خمس سنين ثم رحل الى الاحساء ومكث فيها وقتا فى ضيافة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى ، ثم رجع الى حريملاء (ب) .

---

١ ـ أ ـ عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام من القرن الاول الى القرن الرابع عشر (١٠٠ ـ ١٣٧٠) هـ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ المطبعه النموذجيه بالحلميه الجديده ، دون تاريخ النشر .

ـ محمد حامد الفقى : اثر الدعوة الوهابيه فى الاصلاح الدينى والعمرانى ص ٤١ ، ٤٢ الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٥٤ هـ .

ب ـ ذكرت بعض المراجع ـ ان محمد بن عبد الوهاب رحل الى كردستان والى همذان واصفهان لدراسة الاشراق والتصوف وهو أمر مشكوك فيه حيث انه لم يكن ملما بالفارسيه فضلا عن ان بعض الكتاب ناقش الشيخ عبد العزيز بن باز كبير علماء السعوديه فانكر ذلك . (عبد الحليم الجندى ـ الامام محمد بن عبد الوهاب دار المعارف ١٩٧٨ ص ٩٢ .

الدعـــوة السلفيـــه

لقد أنكر ابن عبد الوهاب على علماء نجد سكوتهم على البدع المتفشية حيث أخذ المنهج السلفي من الحنابله أساسا فى محاربتهـــا ، ثم وضع كتابه " التوحيد الذى هو حق المولى عـــلى العبيد " فى حريملاء ، ثم بدأ يدعو الناس الى مبادىء دعوته المتمثله فى :

التوجه بالعبادة لله وحده ، وانكار التوجه الى اصحاب القباب والقبور ، وانكار التوســـــل بالأولياء والأنبياء فى قضاء الحاجات والى هذا ممن سبقه ابن تيميه الى انكارها فى بلاد المارض .

وتناقلت آراءه من حريملاء الى العيينه فالدرعيه ، ذلك المحور الذى كان يتحرك فيه ليحـــرك الجزيرة العربية حوله [1] .

مرحلة الجهـــاد

لقد كانت لاراء ابن عبد الوهاب تأثيرا كبيرا على عند بعض النجديين مما أوغر ذلك فى نفوس علماء نجد [2] والذين اوغروا بعض العامة بقتله . ففر هاربا الى العيينـه .

فى العيينه وجد نصيره الاول عثمان بن معمر الذى كان امير العيينه حيث اتفق معا على نشـــر الدعوة السلفية .

حيث أوضح الشيخ محمد بن عبد الوهاب بيان منهاج الدعوه فقال : انه لا يدعو الى طريقة جديدة وانما يحى الدين ويدافع عن السنه ويبتدع الخارجين عليها ، ويجتهد رأيه ، ولا يقلد أحدا ، حيث أعلن فى أحد رسائله مايلى : (انى لم آت بجهاله ، بل أقولها ولله الحمد : ان ربى هدانى الـــى الصراط المستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين ، ولست أدعو الى مذهب صوفـــى أو غيره ، بل ادعو الله وحده لا شريك له ، وادعو الى سنه رسوله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بهـا أول أمنه وآخرهم) [3]

١ــ عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٣٤٨ ، ٣٤٨ .

٢ــ كان بالفعل فى نجد علماء يتبعون الامام احمد بن حنبل فى المذهب والاحكام ولكن علمهم لم يخـل مما يشوب طريقة المجتهدين المتصوفـين .

(امين الريحانى : تاريخ نجد وملحقاته ص٣٦ منشورات الفاخر به بالرياض بالاشتراك مـــع دار الكتاب العربي الطبعه الخامسه ١٩٨١ بـــيروت .

٣ــ عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٩٤ .

وبناء على ما تقدم نرى أن ابن عبد الوهاب لم يدع الى مذهب جديد كما أنه لم يتبع أى مذهب صوفى كما صوره بعض الكتاب .

وكانت دعوته كما عبر عنها ابنه عبد الله لعلماء مكة عام ١٨٠٣م بأن (مذهبنا فى الاصول ، مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف " .

ومن ثم فقد أطلق ابتاعه على أنفسهم " الحنابله أو السلفيين " أو الموحدين وأطلق خصومه على دعوته وصف الوهابيه على اعتبار أنها بدعه (١) .

وعلى ذلك يمكن القول بأنه لا جديد فى المذهب أو مبادىء الدعوة ولعل الجديد هو التطبيق العملى للدعوة .

التطبيق العملى للدعوة السلفيه

بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته باللين والرفق ، كما أرسل كتبا الى حكام الحجاز ثم عمل على تطبيق مبادىء دعوته بصورة عمليه وكانت على النحو التالى :

١ ـ هدم القبور التى كان يستغاث بأصحابها ، حيث خرج الشيخ ونفر من اتباعه الى الجبيله فهدموا قباب قبور الصحابه .

٢ ـ قطع الاشجار : قطع الشيخ الشجره التى كانت مشهوره فى وادى حنيفه (شجره الذيب) وليله الفتاه طالبه الحبيب .

٣ ـ اقامة الحدود : امر الشيخ برجم الزانيه والتى قد ثبت زناها باقرارها وبشهادة أربعة عيان وقد نفذ أمير العيينه الحد فيها (٢)

ولما كان ذلك غريبا على عقول سكان نجد .. مما جعلهم يعارضون مبادىء الدعوة فكتب بعضهم الى امير الاحساء . حيث كان سكان الاحساء مستمتعين باشياء من اباحية القرامطة ، فأرسل اميرهم سليمان آل محمد رئيس بنى خالد والذى كان له السيادة على العيينه الى ابن معمر بقتل محمد بن عبد الوهاب ، فرأى الامير ان خير طريقه لحفظ منصبه وخلاص صاحبه ، هى مغادرة

١ـ د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ج ١ الدولة السعودية الاولى (١٧٤٥ ـ ١٨١٨) ص ٤١ ـ دار الكتاب الجامعى الطبعة الرابعة ١٩٨٢ .

٢ـ عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ج ١ ص ٢٢ ، ٢٣ .

الشيخ العيينـــه [1] .

وأثر الشيخ الرحيل الى " الدرعية " حيث يوجد بعض تلاميذه في الدرعيه كثر اتباع الشيخ ، وكان من بينهم أخوا أميرها ثنيان ومشاري ابنا سعود ، ثم بدأ الشيخ في توسيع دائره تطبيق مبادئ برنامجه الاصلاحي حيث وحد من يشاركه عبء التنفيذ لدعوته .

واذا كان الدور التمهيدي لدعوة الشيخ في العيينه كان لا يتعدى الشرح والتفسير وتوضيح منهاج الدعوه فان المرحلة التي انبثقت من الدرعيه كان لها الأثر الكبير في الايمان بدعوة الشيخ الاصلاحيـــه فقد وجد الشيخ في الدرعيه العون الكبير من أميرها محمد بن سعود لمواصله جهوده السلفيه ، هـــذا عدا الرسائل العديده التي كان يكتبها ويرسلها الى امراء الاقاليم ورؤساء العشائر والقبائل بالمنطقه ، حتى انه كاتب اعداءه ايضا وعلى رأسهم سليمان بن سميم ، والذي قام بدوره بارسال رساله الى أهـــل البصره والاحساء ، يشنع فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب [2] .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد وجدت الدعوة مناخا طيبا للانطلاق بعد ما تعاهد بن سعود والشيـــخ بن عبد الوهـــاب .

اتفـــاق الدرعيـــه ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م

كان اتفاق الدرعيه حجر الاساس لبداية دور جديد في تاريخ الدعوة والاسرة السعودية . فقد توجه محمد بن سعود الى مقر محمد بن عبد الوهاب وقال له " ابشر ببلاد خير من بلادك وبالعز والمنعة " فقال الشيخ : " وأنا الشرك بالعز والتمكـــن وهي كلمة " لا اله الا الله " من تمسك بها ونصرها ملـــك بها البلاد والعباد . وهي كلمة التوحيد . وأول ما دعا اليه الرسل من أولهم الى اخرهم [3] .

وعلى ذلك كان عقد الاتفاق الذي جمع بين الدين والسلطه على اعلاء كلمة الله . وانطلقت الدعـــوة حيث تحمل افراد الاسرة السعودية على عاتقهم نشر الدعوة السلفيه في منطقه نجد والمناطق المجـــاورة لها . ويبسطون سلطانهم ، حيث أخذ الامير محمد بن سعود منذ العام الاول لاتفاق الدرعيه يقـــود الغزوات الوهابيه في بلاد العارض حيث تمكن من أن يستولي على الرياض والعيينه وجريملاء ، كما وســـع

١ـ امين الريحاني : المرجع السابق ص ٤٠

٢ـ د . عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٤٩ ، ٥٠

٣ـ عبد الحليم الجندي : المرجع السابق ص ٩٨

ابنه عبد العزيز وجنود الدعوة السلفيه دائرة نفوذهم حيث استولوا على أقاليم كثيره منها القصيم وبريده ، وكان أهم تلك الاقاليم التى استولوا عليها هى منطقه الاحساء والتى كانت خاضعه لنفوذ وسيطرة بنى خالد [1] .

ولعل اتباع الدعوة السلفيه لم يكن فى نيتهم الاصطدام ببنى خالد حينما اغاروا على الاحساء وذلك اعتقادا منهم بأن الاصطدام مع بنى خالد لم يكن بمقدورهم حينذاك فضلا عن ان حربهم مع بنى خالد لم تكن من النوع الذى اعتادوه ضد صغار الشيوخ فى نجد .

ولهذا لم يفكروا فى خوض غمار الحرب الى الاحساء قبل نهايه عام ١٧٨٠م الا انه فى الواقع كان بنو خالد ينظرون الى اتفاق الدرعيه على أنه اتفاق يمثل خطرا جسيما عليهم فيجب محاصرته وتطويقه قبل أن يمتد الى ما وراء الدرعيه .

وعلى الرغم من ذلك ، فان بنى خالد لم يكن فى استطاعتهم أن يفعلوا شيئا فى السنوات الأولى للدعوة [2] .

ولكن عندما تولى زعامتهم غرير بن دحيان ١١٦٦ هـ / ١٧٥٢ بدأ يعد حملته على الدرعيه ، والتى منيت بالفشل [3] .

ويبدو أن فشل حملة غرير يرجع الى عدم تعاون أفراد قبيلته معه فضلا عن ضعف وسائل الحصار الذى استخدمها لمعاقل الوهابيين .

وعلى الرغم من ذلك فقد أستولى على البريد عام ١١٨٨ / ١٧٧٤ ، وكان فى طريقه للدرعيه ولكنه مات قبل أن يصل اليها ودون أن يحقق هدفه .

وعلى ذلك فقد تمكن اتباع الوهابيين من بسط نفوذهم على شرق الجزيره العربيه حيث لعبت

١- أمتد نفوذ بنى خالد من الكويت شمالا حتى قطر جنوبا وقد شمل نفوذهم البصره أيضا (لمع الشهاب فى سيره محمد بن عبد الوهاب ص ١٥٤ - ١٥٦ .

٢- نظرا للخلافات الاسريه التى كانت تهدد زعامة الامير سليمان وبوجه خاص ما كان بينه وبين دحيان ومانع نجلى سعدون وقد انتهى الصراع فى عام ١٧٥٢ .

٣- نظرا لاقامة الوهابيين تحصينات كبيره فى الدرعيه وغيرها من المدن الوهابيه (احمد مصطفى ابو حاكمه : تاريخ شرقى الجزيره العربيه نشأة وتطور - ترجمه محمد امين) ص ١٦٧ ، ١٦٨ دار مكتب الحياة بيروت مارس ١٩٦٥ .

الخلافات الاسريه لبني خالد دورا هاما فى نشاط الدعوه ، وضعف سيادتهم على القبائل التى كانت خاضعه لهم وجنحت للاستقلال بشئونها مما جعل الفرصة سانحه أمام اتباع دعوة ابن عبد الوهاب للانقضاض على سيادة بنى خالد فى المنطقة بل وتقويض زعامتهم عام ١٧٩٣م (١) .

ومن ثم فقد اتجه نشاط اتباع الدعوة السلفيه نحو الحجاز مما دعا شريف مكه فى عام ١١٧٢ هـ / ١٧٥٨ أن يرسل كتابه الى الباب العالى والذى تضمن تقريرا اضافيا عن خطوره الدعوه واثرها على كيان الدولة العثمانيه فى جزيرة العرب (٢) .

وعلى هذا يتضح أن شريف مكه لم يكتب الى الباب العالى الا بعد أن وجه اتباع الدعوه نشاطهم الى خارج مركز الدعوة ، ولعل ذلك راجعا الى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة لم يكن من أهل العصبيات بالجزيرة العربيه وان دعوته فى الاساس تقوم على الناحية الدينيه والتى تتطلب وجود عصبيه له لنشر مبادئ دعوته ، وعند ما تم اتفاق الدرعيه عام ١٧٤٤ وتحمل افراد الاسرة السعوديه عبئ نشر الدعوة ، فقد كان اتباع الدعوه يستخدمون اسلوب الغارات الخاطفه والمتقطعة ، والتى لم تشكل فى بادئ الأمر خطوره على الموقف السياسى فى الجزيره ، ويبدو أن شريف مكه قد آثر أن يترك الدعوة السلفيه وابتاعها للعصبيات المحليه بالجزيره حيث كان هنا ابن دواس عدوا لدودا لهم بالرياض وكان بنو خالد أصحاب نفوذ وقوه فى منطقتهم الممتده من قطر الى البصره . لهذا كان يعتقد أن الدعوة السلفيه وان طال أمدها فلن يكتب لها الخروج الى حيز التنفيذ والانتشار وما حسب أنها ستتجه يوما الى الحجاز وتهدد وضعه الزيدى وسلطته السياسيه .

لهذا وقف شريف مكه من الدعوة واتباعها موقف المتفرج فكان لا يريد أن يعادى اتباع دعوة ابن عبد الوهاب ، فى الوقت نفسه كان لا يرغب فى موالاتهم . وان أظن ميلا لمسالمتهم حيث كتب الى عبد العزيز بن سعود بأن يرسل اليه عالما من علماء نجد ليفهمه دعوة ابن عبد الوهاب — ولكن عندما حمل أحد قضاه نجد كتابا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى علماء مكه . عزفوا عن مناظرته فضلا عن عدم استحسانهم لموقف شريف مكه من اتباع الدعوة (٣) ولكن عندما تمكن اتباع الدعوة من بسط نفوذهم على البلاد المجاورة للدرعيه فضلا عن فشل غزير فى حملته ، ونشاط اتباع الدعوة فى منطقة الاحساء

١— لمع الشهاب ص ١٦٢

— ابو حاكمه : المرجع السابق ص ١٦٩ — ١٧١

٢— رابح لطفى جمعه : جيش محمد على — " الداره " ص ٤٦ العدد الرابع السنه السابعه ١٤٠٢ هـ مايو ١٩٨٢ .

٣— امين الريحانى : المرجع السابق ص ٦٧

أحس شريف مكه بالخطر الذى يهدد وضعه الزيدى ومركزه السياسى فى مكه المكرمة ، وبالتالى الخطر الذى سيهدد سيادة الدولة العثمانيه فى شبه الجزيره العربيه .

موقف الدولة العثمانيه

لم تبد الدولة العثمانيه اهتماما أو قلقا حيال الدعوة السلفيه ولا من غزواتها فى بادىء الامر حيث كانت الدولة العثمانيه مشغوله فى حربها مع روسيا ، وكانت تنتظر الى الدعوة السلفيه واتباعها على أنها مشكلة من مشاكل الحدود من الممكن تركها لباشا بغداد المجاور لمعالجتها .

ولكن عندما اشتد عود الدعوة السلفيه وأخذت طريقها خارج نجد وأكثر اتباع الدعوة من غزواتهم على الاحساء وأرسل كل من شريف مكه والجزار باشا الى السلطان بشأن خطوره الدعوه واتجاه نشاط اتباعها نحو الحجاز ، أصدر السلطان أمرا الى الباب العالى بتوجيه نظر الصدر الاعظم لعقد مجلس المشورى لبحث مسأله دعوة محمد بن عبد الوهاب والتوصل للقرارات المناسبه بشأنها [1] .

ومن جهة أخرى فقد أرسل مقام الصداره على الفور للجزار باشا لوقف مدّ نفوذ اتباع دعوة ابن عبد الوهاب ، دون انتظار للرد وتضييع الوقت .

انعقاد مجلس الشورى العثمانى ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣

بناء على صدور أمر بالخط السلطانى المرسل الى الباب العالى والذى يقول فيه : " ان اهداف الوهابيين فى رفع رايه العصيان الآن أمر مجهول " ثم يتساءل فيه هل نشاطهم الموجه لشريف مكة نتيجه لعدائه أم هو مجرد تضليل وافساد الناس بدعوى الرغبه فى الحكم والتفرد ؟ " .

ثم عقد مجلس الشورى ١٢٠٨ / ١٧٩٣ برئاسه الصدر الاعظم وكان مؤلفا من الصدور ورجال الباب العالى وقائد الانكشاريه وناظر الماليه وسائر أرباب الشورى .

وبعد عرض مسأله دعوة محمد بن عبد الوهاب لم يتوصل المجلس فى اتخاذ قرار بشأنها نظرا لأنه كان من الضرورى لهم الاحاطة بالأوجه الشرعيه للدعوة فوجدوا من المناسب بحثها فى منزل شيخ الاسلام .

وبناء على ذلك انتقلت هيئة المجلس الى منزل شيخ الاسلام ، وبعد عرض الكتب التى وردت من

١ـ اثر خامه احمد جودت : تاريخ دولتمليه من ١٢٠٥ ـ ١٢٠٩ الجزء السادس النص التركى ص ١٦٨

من الحجاز بشأن خطورة دعوه محمد بن عبد الوهاب ، أدلى بعض الصدور بارائهم يدعوى علمهم بدعوة ابن عبد الوهاب حيث كانوا يشغلون مناصب القضاء بالحرمين الشريفين ، وذلك لاثبات رسائله الموجهة المشوبه بالحق ، فقال بعضهم : المذكور حنبلي المذهب ويطبق فروع المسائل الفقهيه على مذهبه ويأول اعتقاداته بناء على ظاهر النصوص ، وقد حقق افتراضا أن عوام الناس قد ارتكبوا المعاصي بمداومة قراءة الدلائل الشريفه وترك تلاوة القرآن الكريم ، كما اعتبر وضع القبة الشريفه التي يضريح الحضرة النبوية ، والمنارات المعدوده من سائر الشعائر الاسلاميه - منزلة البدعة السيئه . وأن أكل الطعام لم يحدث في الصدر الأول الاسلامي بالملعقة ، وأنه من الضروري أكل الطعام بالأيدي . وأن فروع اشراف المدينه من أصول زيديه وأن اطوارهم وتحركاتهم مخالفة للشرع المطهر ، واعتقاداتهم ، واعمالهم مخالفه لما ورد بالنص والاثر .

وأن في دعوى ابن عبد الوهاب أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهنا يمكننا أن نقرر أن بعض الصدور اعترف بصراحة بصحة دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب حيث قرروا أن في دعواه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

هذا وبعد أن عرض بعض الصدور رأيهم في مسألة الدعوة طلب الرأي من الحاضرين ، فقال شمس الدين أفندي قاضي عسكر روم ايلي (لقد تبين سوء قصد هؤلاء الاشقياء ازاء الحرمين وأن ارسال الجند بالعتاد اليهم أمر يقتضيه الدين ..)

فرد عليه الصدر الاعظم بقوله (بقدر الامكان تعدّ العساكر من جانب مصر والمدافع والمهمات من الاستانه على أن يكون تحميلها بمعرفه قبطان باشا)

ومن هنا نلاحظ في رأي قاضي القضاه والصدر الأعظم أنه كان ينظر الى اتباع الدعوة السلفيه نظره الثائرين المتمردين الذين شقوا عصا الطاعة على الدوله العثمانيه . حتى نجد من يؤيد وجهة نظرنا هذه من أهل الشورى بالمجلس حيث يقول كتخدا بك نائب الصدر الاعظم (ان الوهابيين نوع من الخوارج وجيب العلم في الواقي بحكم الباري في شأنهم) فأجابه عصمت افندي " الخوارج في الاصل مسلمين في طاعة سلطان قاهر ثم شقوا عصا الطاعة وعرف لفظ الخوارج بأنه اطلق على الذين خرجوا عن طاعة السلطان ، وأن الوهابيين لم يجبروا على قبول أمر أو نهي قاهر ومتسلط ، وأنهم قوم من أهل البادية وغير مقيدين .

١- قاضي القضاه وكان خاضعا للمفتي أو شيخ الاسلام .

وعلى الرغم من ذلك فقد وجد من بالمجلس من يؤيد مقاومة اتباع ابن عبد الوهاب عن طريق استخدام القوه فيقول نلاحق زاده عطاء الله افندى : (اذا شغل الوهابيين بواسطة دفع وارسال العساكر فان ذلك لا يخلو من الفائدة) مما جعل الصدر الاعظم يقول : لقد صدر الامر الى والى بغداد بارسال قوات عسكريه وان يتوجه بنفسه الى الوهابيين أو بارسال نائبه .

لكن رأى ولى زاده رئيس العلماء بأن اعمال الوهابيين لا تخرج عن كونها منافسه بينهم وبين اشراف مكة الزيديين .

لذلك اختتم مجلس الشورى جلسته على أن يعود للانعقاد بعد بحث مدى تطابق الدعوة الوهابيه بالشريعه الاسلاميه والرجوع الى الفتوى اللازمه بحق الوهابيين [1] ثم صدر قرار المجلس بذلك .

ولعل صدور قرار مجلس الشورى كان نتيجه تباين وجهات نظر المجتمعين . فمنهم من أطمأن بصحة دعوة ابن عبد الوهاب ومنهم من صرح بمقاومة اتباع الدعوة السلفيه عسكريا وعلل ذلك على أنه خروج على سيادة الدولة العثمانيه ومنهم من حمل نشاط اتباع ابن عبد الوهاب على أنه نوع من المنافسه الدينيه لشريف مكة الزيدى ، أى بنى رأيه عن الدعوة السلفيه شأنها شأن المذهب الزيدى [2] أى رجح رأيه عن دعوة ابن عبد الوهاب بأنها مذهب جديد مثل مذهب الزيديه . وكأنه لم يحاول التعرف على مبادىء الدعوة السلفيه وهو " رئيس علماء الدولة العثمانيه " مما يدل على حالة التدهور الثقافى التى كانت تعيشها الدوله العثمانيه ، فضلا عن ان مناقشات المجلس تدل دلالة واضحة على الجمود الفكرى للمسئولين العثمانيين ، فضلا عن تمسك علماء الاستانه بالقديم دائما حتى قرروا فى نهاية المجلس ـ العمل على بحث دعوة ابن عبد الوهاب ومدى مطابقتها للشريعة الاسلامية ـ وذلك بالطبع عن طريق عالم بأمور الدين وغيرهم .

فى هذه الاثناء كان اتباع الدعوة السلفيه قد اخضعوا منطقة الاحساء لنفوذهم ثم بدأ زحفهم شمالا حتى وصلوا البصره ثم منها الى بلاد الرافدين ، وكانت لغارات التى قام بها اتباع الدعوه السلفيه على المناطق المجاورة للموصل مما دعا والى بغداد الذى كلف بمهاجمة اتباع الدعوة السلفيه أن يقوم

١ـ اثر خامه احمد جودت : المصدر السابق . الجزء السادس ص ١٦٨ ـ ١٧٠ .

٢ـ المذهب الزيدى : نسبة الى زيد بن على زين العابدين بن الحسين وهو مذهب قريب الى مذهب جماعة السنه المسلمين وكان رأى الامام زيد سببا فى خروج شيعه الكوفه عليه ورفضه (محمد عبد الله ماضى " دولة اليمن الزيديه ـ المجله التاريخيه المصريه ـ مايو ١٩٥٠ ص ٢٢ .

باغداد تجهيزات عسكريه فى عام ١٢١٢ هـ / ١٧١٧ م .

وفى ٢٢ من ربيع الثانى ١٢١٣ / ١٧٩٨ تحرك على باشا من بغداد وكانت حملته بها عشائر بدويه من قبائل المنتفق برئاسه شيخهم حمود الشامر وتوجه بحملته الى الاحساء ، وكانت فى الاحساء قلعتان تعرف احداهما باسم مبرز والثانيه باسم هفوف وبهما كتائب الدعوه السلفيه وحاولت قوات على باشا محاصره قلعه مبرز الا أنها فشلت بسبب دفاع كتائب الدعوة السلفيه . تراجعت قوات على باشا كما تفرقت فى عودتها .

ومع ذلك فقد أرسل سعود بن عبد العزيز الى على باشا كتابا جاء فيه (اننا لم نعرف سبب حضوركم للاحساء وأيا كان مجيئكم فان اهالى الاحساء رافضين وجعلناهم مسلمين بالسيف ، كما ان منطقه الاحساء ليست داخله تحت حكم الاتراك ، ثم انها بعيده عنكم .... والآن فان ما نأمله هو المصالحه فى ذلك خير لكم ولنا ومصلح سيد الاحكام) (١) .

وعند هذا الحد تحرك نشاط اتباع الدعوه الى قيام دولة حقيقيه ، لها حكومة مركزية ونظام ضرائبى وجيش نظامى .

وفى عام ١٨٠١ زحف الجيش الوهابى نحو الفرات ونهبوا كربلاء ونبشوا قبر الحسين بن على — وكان لهذا وقع سىء فى اواسط العالم الاسلامى (٢) وكانت لواقعة كربلاء أثر كبير على الدولة العثمانيه — ولهذا اجتمع مجلس الشورى العثمانى لبحث اعتداءات اتباع ابن عبد الوهاب ، وبناء على كتب شريف مكة التى ارسلها الى الاستانه .

انعقاد مجلس الشورى الثانى عام ١٢١٧ / ١٨٠٢

فى جمادى الثانيه عام ١٢١٧ عقد مجلس الشورى باجتماع كبار العلماء باعتبار ان اعتداء اتباع ابن عبد الوهاب على كربلاء من الأمور الدينيه الخطيره — وانعقد المجلس بدار الفتوى وطرحت احداث بلاد العرب لمناقشه جدول أعمال المجلس والذى تضمن الآتى :

١ — كتاب الجزار باشا الخاص بطلب معدات عسكريه وقوات دفاعيه .
٢ — شراء كميات من الذخيره .
٣ — طلب الايرانيين فى تأديب الوهابيين .

---

١ — اثر خامه احمد جودت : المصدر السابق الجزء السابق (احداث الاحساء) ص ٢٦٠ — ٢٦٥ .
٢ — د . محمد انيس : المرجع السابق ص ٢٣٠ .

٤- خطة الصدر الاعظم فى استئصال شوكه الوهابيين .

وعرض المجلس البند الأول من جدول الاعمال وقال الصدر محمد عارف افندى «انه يجب اخطار الجزار باشا بخط سلطانى بامداد المدينه المنوره بالذخيره والمهمات . بعد أن يتم الاتفاق مع رؤساء القبائل العربيه الذين يوكل اليهم مهمة نقلها .

الا أن الكتخدا بك (نائب الصدر الاعظم) قال : ان هذه الاجراءات قد اتخذت بالفعل .

وأما عن الفقرة الثانيه من البند الاول المتضمنه القوات الدفاعيه فقال عنها الصدر أمين افندى : يجب ان تكون من مصر فقط .

ثم بحث المجلس البند الثانى من جدول الاعمال فذكر بعض المجتمعين بالمجلس انه يمكن شراء كميات من الذخيره وارسالها من السويس ، لكن ذلك قد وجد معارضه من الحاضرين لتخوفهم من الجيش الوهابى بقطع الطريق والاستيلاء عليها : الا ان الصدر بكر أفندى قد علق على ذلك بقوله يمكن نقل الذخيره من الشام بدلا من مصر لكن لم يلق تأييد المجلس ولكن انتهت المناقشه فى هذا البند على انه من الممكن توصيل جزء من الذخيره عن طريق الشام .

ثم عرض البند الثالث من الجدول فقال الصدر الاعظم لقد طلب الايرانيين تأديب الوهابيين فى عهد سليمان باشا والى العراق . فأخذ الحديث الصدر اسحق افندى زاده عطاء الله وقال (لقد أصبح الايرانيون خصم قوى للوهابيين ، وحبذا لو أمكن بسبب واقعه كربلاء ولا ضرر هناك فيما يتعلق بموضوع الوحدة الاسلاميه اذا ما أغرى الايرانيون بالهجوم على الوهابيين) لكن عقب على ذلك الصدر اسحق أفندى وبعض الصدور بالاتى :

(ان هذا الاجراء يتوقف على وصول الايرانيين الى نجد عبرا اراضى بغداد وأن الخطر اذا ما تجاوزوا حدودهم وحدوث واقعه مثل واقعة البصره [1] .

لكن حسم الصدر الاعظم هذه المناقشه بطرح خطته لاستئصال شوكه الوهابيين وذلك عن طريق محاصرتهم من طرف والى بغداد ووالى دمشق ، ووافق الحاضرون على اجراء الصدر الاعظم واختتم المجلس جلسته بذلك [2] .

ويلاحظ هنا أن انتشار وتزايد قوه الجيش الوهابى قد طغت على أعمال المجلس حتى أنهم فكر

---

(١) حملة نادر شاه على العراق سنة ١٧٣٣ وكادت بغداد تسقط لولا وصول نجدات عثمانيه فى الساعات الاخيره .

(٢) اثر خامه احمد جودت : المصدر السابق .

بعض المجتمعين بالمجلس باغراء ايران بالهجوم على الوهابيين . وذلك راجعا الى حادثه كربلاء الشيعيه مما يدل دلالة واضحه على مدى الضعف والتدهور فى جسم الدولة العثمانيه حتى أن بعض الحاضرين خشى من احتلال ايران للعراق ومما جعل الصدر الاعظم يعرض خطته التى تتضمن وضع الجيش الوهابى بين فكى كماشه قوه والى الشام وقوه والى العراق . كما يلاحظ أيضا مدى خطورة انتشار الدعوه على سيادة الدولة العثمانيه فى الجزيره العربيه وخاصه على المدينتين المقدستين واللتان تكسبان السلطان هيبة أمام العالم الاسلامى .

ومع ذلك ، فقد تركت حادثه كربلاء اثرا سيئا بصفه خاصه عند الشيعيين مما جعل أحد الشيعه الافغان والذى يدعى عثمان بأن يتسلل الى الدرعيه ويقتل عبد العزيز بخنجر فى اثناء صلاته [1] .

ولقد احدث مقتل عبد العزيز بن سعود رد فعل عنيف بين الوهابيين بخرجت حملة كبيره بقياده ابنه سعود فى عام ١٨٠٣ الى مكه المكرمه وفى مكه المكرمه قامت الحمله بهدم القباب المقامه على الاضرحه كما الغوا كل الضرائب والرسوم الجمركيه وحطموا كل الادوات المستخدمه فى التدخين ومنازل الذين كانوا يتاجرون فى الحشيش أو الذين يشتغلون بالدعاره [2] .

فى اثناء ذلك كان قد وصل مبعوث الدولة العثمانيه .

فأما المبعوث الذى يدعى آدم افندى [3] قد تمكن من مقابله سعود بن عبد العزيز فى ٧ من محرم ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣م وسلمه كتاب الصدر الاعظم والذى يتضمن النقاط التاليه :

١- واقعه كربلاء .
٢- حادثة المشهد الحسينى .
٣ - اوراق ابن عباس .

وقد أصاب سعود عما ورد فى كتاب الصدر الاعظم فى مكان اشهر اللقاء بينه وبين آدم وهو

١- المصدر السابق ص ٢٠٤ .
٢- د . محمد انيس : المرجع السابق ص ٢٣١ .
٣- كان آدم افندى قد ولد فى اربيل من ملحقات شهرزور درس العلم فى حلب وهى المدينه التى كان يعمل بها والده ثم عاد الى استانبول وقد تنقل فى عدة وظائف منها التدريس والقضاء فى القدس وفى القدس تسلم كضمان الصدر الاعظم المتضمن البحث فى مبادئ واهداف دعوة ابن عبد الوهاب .

" صديقه الشريف غالب " بالاتى :

١ــ اما بالنسبه لواقعه كربلاء فترجع الى ان والى بغداد دائم التحرش بنا فهو تارة يرسل لنا قبيلة السنتفق وتارة نائبه الذى حاصر الاحساء بجنده مما جعلنا نقوم بمهاجمة بغداد .

٢ــ وأما عن حادثه المشهد الحسينى ــ والقول ما زال لسعود بن عبد العزيز ــ لما كان الاعاجم القائمين على المشهد اعتادوا سب الشيخين [1] وقذف الصديق وقالوا بأن زيارة المشهد أفضل من طواف مكه ــ فان دماءهم واموالهم حلال فى المذاهب الاربعة ، ولو علم السلطان بحالة الاعاجم هذه ، فان حركتنا ستظهر استحسانه .

أما بالنسبه للنقطه الثالثه المتضمنه ارجاع الاوراق التى كانت على مرقد ابن عباس قال سعود ان طلب هذه المطالب من مخلوق ميت فهو الشرك الصحيح [2] وذلل على ذلك بايات قرآنيه [3] والتى كانت مثار حوار حول تفسيرها .

ولعل ذلك الحوار بين آدم افندى وسعود بن عبد العزيز يرجع الى اختلاف المذاهب بينهما حيث كان العثمانيون شيعيون ويتبعون المذهب الحنفى والمبسط لبعض مسائل الشريعه الاسلاميه فى حين ان اتباع دعوة ابن عبد الوهاب كانوا يتبعون المذهب السلفى الحنبلى والمتشدد الى حد ما فى بعض المسائل الفقهيه .

لذلك كان البون شاسعا بين سعود وآدم افندى مبعوث الدولة العثمانيه فى الحوار الدينى بينهما .

وبناء على ذلك أرسل آدم افندى الى الاستانه اجابه سعود ورؤيته حول الدعوه السلفيه . وفى هذه الاثناء كتب سعود بن عبد العزيز الى السلطان سليم الثالث بعد ان دخل مكة [4] .

١ــ هما . ابو بكر وعمر رضى الله عنهما .

٢ــ اثر خامه احمد جودت : المصدر السابق الجزء السابع ص ١٧٤ ــ ١٧٨ .

٣ــ منها " وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا " سوره الجن

" قل لله الشفاعه جميعا ... " سورة الزمر .

٤ــ جاء فى كتاب سعود أنه دخل مكه فى الرابع من محرم سنة ١٢١٨ ويقول : ولقد أمنت أهلها على أرواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشياء الوثنيه والغيت الضرائب الا ما كان منها حقا وثبت القاضى الذى وليته انت طبقا للشرع فعليك ان تمنع والى دمشق ووالى القاهره من المجىء بالمحمل والطبول والزمور الى هذا البلد المقدس فان ذلك ليس من الدين فى شىء وعليك رحمة الله وبركاته " (امين الريحانى : المرجع السابق ص ٧٠) ==

كما ارسل والى الشام عظم زاده عبد الله والذى كلف بقرار مجلس الشورى السابق — بمهاجمه الوهابيين — الى الصدر الاعظم — وقد تعلل فيه بنقص الزخيره والمعدات ويطلب اسناد مهاجمة الوهابيين الى الجزار باشا والذى تأثر منه السلطان ورجال الدولة العثمانيه .

عقد مجلس شورى خاص ١٢١٨ / ١٨٠٣

بناء على الكتب التى وردت للدولة العثمانيه عقد مجلس خاص بحضور السلطان ، وتقرر فيه اسناد مهمة مهاجمه الوهابيين لاحمد باشا الجزار على الرغم من مخالفة ذلك لرغبة السلطان [1] — فى اسناد العمل لاحد من وزراء الدوله .

وعلى ذلك أبلغ الجزار باشا والذى كتب للباب العالى بأنه سوف يتحرك تجاه الوهابيين فى الدرعيه بموجب الارادة الشيعيه الا انه قد بين مشكلات الصحراء وصعوباتها ومدى نفوذ الاسرة السعوديه فى جزيرة العرب [1] .

وعلى الرغم من وعد الجزار باشا بمهاجمه الوهابيين الا انه أوكل هذه المهمه الى نائبه سليمان باشا حيث داهمه المرض وقتئذ .

ومن جهه أخرى تحرك الجيش الوهابى نحو المدينه وتمكن من دخولها وذلك فى عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ [2] .

ولم تملك الدولة العثمانيه أن تفعل شيئا للمحافظه على الحرمين سوى كتابه أمر عال الى كل من والى الشام ومصر بشأن الحجاز وذلك نظرا لدخولها فى حرب مع روسيا وبسبب الحملات الانجليزيه على مصر .

فى مصر ثار جدل حول رسائل وبيانات دعوة ابن عبد الوهاب .

رأى علماء مصر وعلماء استانبول فى دعوة محمد بن عبد الوهاب .

انقسم علماء مصر حول مبادئ الدعوه فريق يؤيد الدعوه استنادا الى اقوال ابن تيميه وابن القيم

= اثر خامه احمد جودت : المصدر السابق ص ١٩٨ — ٢٠٠

١ — حيث كان الجزار باشا لا يرسل الا القليل من الاحوال لاستانبول فضلا عن الشكايات التى انبعثت من اهالى الجبل وساحل لبنان .

٢ — عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ص ١٠٠ — ١٠١ الطبعه الثانيه ١٩٤٧ مكتبة النهضه المصريه .

وامثالهما من العلماء والآخر حكم على اتباع الدعوه بانهم كافرين وخارجين وفريق ثالث لم يؤيد أو يعارض الدعوه حيث لم يمكنه أن يفهم هدف الدعوه (١) .

ويرجع انقسام الرأى عند علماء مصر لما كان يسمعوه من حجاج مصر فى ذلك الوقت . فارأى المؤيد كان حكمه بناء على كتب السلف أما رأى الآخرين فمرجعه الى السماع من حجاج مصر والذين تفشت فيهم البدع ويذكر الجبرتى فى هذا الصدد : فمنهم - أى من علماء مصر - من أيد دعوة محمد بن عبد الوهاب على أن الاعتقاد بالاشياء الكثيره التى نهى عنها أو مكروهه شرعا هى شرك جلى ، وبعضهم اعتبر الدعوه افراط فى التعصب (٢) .

أما علماء استانبول فى ذلك الوقت فهم كانوا ثلاثة أقسام (٣) وكانت الفئه الاولى منهم لا يمكنها القول بصحة دعوة ابن عبد الوهاب ، واما الفئه الثانيه فقد ارجعوا الدعوه الى التعصب ولم يعطوا اهميه لبحثها ولهذا فلم يتخذ علماء استانبول قرارا قاطعا بشأنها (٤) .

وعلى الرغم من ذلك فقد عقد مجلس شورى بصفه غير رسميه بمنزل شيخ الاسلام للتوصل الى قرار لوقف نشاط الوهابيين فى الجزيره العربيه : فاقترح البعض ارسال جيش كبير على وجه السرعة لمهاجمة الوهابيين والمحافظه على حدود الدولة العثمانيه - لكن شيخ الاسلام نقد هذا الاقتراح بدعوى ان ارسال جيش كبير أمر صعب .

١- اثر خامه احمد جودت : المصدر السابق .

٢- عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار الجزء الثالث ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ حوادث ١٢٢٣ هـ دار القاسى ببيروت .

٣- العلماء الرسميين اصحاب الدرجات العلميه ، وثانيهما الحكام الكتبه القائمين فعلا بالخدمات الشرعيه وثالثهما كانوا الاساتذه وطلاب المعاهد العلميه وكان اصحاب الطبقه الاولى نادرين ، أما رأس مال معلومات الفئه الثانيه كان عباره عن التوفيق فى تطبيق القضايا على المسائل الوارده فى كتب الفتاوى وتنظيم وترتيب عبارات الاعلام على اصول سلكها وبالتالى فهم يعيدون عن مسألة البحث العلمى . أما الفئة الثالثه فكان لا يوجد عندهم أسس نظريات العلوم الشرعيه واقتصر عملهم على انكار الافكار الفلسفيه وعقائد المعتزله وبالتالى لم يتدخلوا فى بحث دعوة محمد بن عبد الوهاب .

٤- اثر خامه احمد جودت : المصدر السابق الجزء الثامن ص ١٦٣ النص التركى .

ومع ذلك فقد توصل المجلس الى بعض القرارات ومنها : ارسال وزير الى جده وهو اهب اللـــه افندى يهدف المحافظه على الجمرك بها ، وأيضا الى ما يمكن المحافظه عليه من حدود الدوله [1] .

ويلاحظ على اعمال مجلس الشورى العثمانى مشكله الرسمى وغير الرسمى لم يتخذ فيها قرار حاسم ، بل لم يكن المجلس الا بمثابه الشجاعه التى يعلق عليها قصور أو عجز الوزراء فى المسئوليات المفقاة على كاهلهم وتبريرها أمام الباب العالى بأمر السلطان ـ هكذا كان مجلس الشورى المفترى عليه بأنه يضم الخبره العميقة فى الرأى والسياسه ويضم فى رحابه الكفاءات النادره العسكريه ورجال الدين والعلمـــاء وهو البرىء منهم .

ومن جهة أخرى فقد تطلع الجيش الوهابى لغزو العراق ، فى عام ١٨٠٨ قام الجيش الوهـــابى بمحاصره النجف ولكنه فشل فى الاستيلاء عليها فرفع الحصار وانسحب ، فى عام ١٨١١ تمكن الجيـــش الوهابى من غزو العراق ووصل الى ضواحى بغداد فى الوقت الذى توجه فيه أحد قواد الجيـــــش الوهابى ويدعى أبو نقطه ومعه بعض الفرق العسكريه الى سوريه لغزوها والاستيلاء على دمشق ، وان كانت قوات ابو نقطه قد اضطرت الى الانسحاب من دمشـــق .

وعند هذا الحد ـ أخذ اتباع الدعوة يتطلعون الى منطقة الخليج المجاورة لنشر مبادىء الدعـــوة وليبسط نفوذهم عليها . ومقاومة القوى المحليه بها .

١ـ المصدر السابق الجزء التاسع ص ١٦٦ .

٢ـ د . محمد انيس : المرجع السابق ص ٢٣١ .

اثر التوسع الوهابى على القوى المحليه

لقد كانت بلاد العتوب (١) تؤلف جزءا من المنطقة الشرقيه للجزيره العربيه ، حيث بدأت فى انشاء مدن صغيره تحت حمايه زعماء بنى خالد ، كما ظل موقف بنى خالد من زعماء العتوب فى كل من الكويت والبحرين على ما هو عليه حتى بعد أن ازدادت اهميه المدن التى انشأها العتوب واحتلالهم البحرين ولما تمكن الوهابيون من الانتصار على بنى خالد وسيطروا على منطقه الاحساء نشب صدام بينهم وبين العتوب وذلك لعوامل كثيره منها ايواء العتوب للفارين من بنى خالد ، فضلا عن أن مبادئ الدعوه الوهابيه تفرض عليهم محاربه أهل البدع أيا كانوا وكان العتوب يمارسون الاسلام بنفس الطريقه التى كان يمارسه بها غيرهم من المسلمين والتى تتعارض مع مبادئ الدعوة الوهابيه ، كما كانوا يعتبرون سكان البحرين من أهل الشرك والرفض (الشيعه) هذا بجانب ان الوهابيين كانوا يطمعون فى الثروه الواسعه التى استطاع أن يجمعها العتوب عن طريق نشاطهم التجارى .

ومهما تكن الدوافع لمهاجمه الوهابيين شرقى الجزيره العربيه فان استيلاءهم على ممتلكات العتوب الذين كانوا فى نظرهم من أهل الشرك لم يكن يتعارض مع مبادئهم ، على أن الصدام المسلح بين العتوب والوهابيين لم ينشب الا فى عام ١٧٩٣ حين شن الوهابيون غاراتهم على آل الصباح بينما لم يتعرض آل خليفه لهجوم كهذا قبل عام ١٧٩٥ ، ولعل كان هدف الوهابيين من الهجوم على العتوب هو اد خال الرعب فى قلوبهم بانهم قادرون على الانتقام من كل من يساعدهم الا ان تورط الوهابيين فى حملات تونسى ، وباشا بغداد بتحريض من العثمانيين ، قد أنقذ عتوب الكويت من الوقوع فى قبضة

---

١ — العتوب : مجموعه من القبائل العربية التى نمت وترعرعت فى ظل بنى خالد وتنتمى الى قبيلة عنزه وهى قبيله عدنانيه أقامت فى نجد وشمال الجزيره العربية ، وقد حلت قبائل العتوب فى أوائل القرن الثامن عشر واستقرت على الساحل الشرقى للجزيره العربيه قبل ذكاهيم للكويت .

وقد نجح أحد فروعها فى تأسيس نظام حكم لهم فى الكويت عام ١٧٥٦ فى حين اتجه فرع آخر جنوبا حيث نجح فى تأسيس وجود تجارى وسياسى هام له فى " الزباره " عام ١٧٦٦ بشبه جزيرة قطر ، ثم لم يلبث ان مد نفوذه غربا نحو البحرين حيث نجح فى ذلك عام ١٧٨٣ بمساعدة من جماعات العتوب الأخرى فى حين باءت جهود الفرع الثالث " الجلاهمه " فى هذا السبيل بالفشل .

(مقال د . بدر الدين عباس — جامعة الكويت — مجلة كلية الآداب والتربية ص ١٠٨ — ١١٠)
(العدد الخامس — يونيه ١٩٧٤) .

النفوذ الوهابى (١) .

وعلى اية حال فقد بقيت الكويت خارج دائرة النفوذ الوهابى حتى بعد ان دانت لهم الزياره ولعل ذلك راجعا الى ان الوهابيين قد انشغلوا بعد عام ١٧٩٦ بصد هجمات شريف مكه من ناحيه وتونيسى زعيم المنتفك فى سنة ١٧٩٧ وعلى باشا فى ١٧٩٨ ، ١٧٩٩ من ناحية أخرى ، وفضلا عن ذلك لم يكن جيش العتوب يشكل تهديدا خطيرا على النظام الوهابى المستقر فى شرقى شبه الجزيرة العربيه لـــذا أرجأ الوهابيون أخضاع العتوب لسلطانهم .

الا انه فى عام ١٧٩٩ قام سلطان مسقط بمهاجمة البحرين متذرعا بأن " سفن العتوب كانت ترفض دفع الضريبه المقرره عن عبورها المضيق هرمز " ولكنه لم يتمكن من احتلالها ، مما دفعه فى عام ١٨٠٠ من ارسال حمله على البحرين فتمكنت من احتلال الجزيره ، وارسلت الى مسقط بعض الاسرى من العتوب كرهائن ، فاستنجدت البحرين بالوهابيين الذين أيدوا استعدادهم لمساعدتهم فى عام ١٨٠١ استعاد العتوب البحرين ، غير ان النفوذ الوهابى قد امتد الى كل اجزاء الخليج العربى من البصره شمـــالا حتى اراضى القواسم فى الجنوب .

صـراع سلطان مسقط مع الوهابيين

لم يرض سلطان مسقط باستعاده العتوب البحرين ، فـفى عام ١٨٠٨ تعرضت سفن العتـــوب لمهاجمة بحريه مسقط ، والتى نتج عنها أسر شقيق حاكم البحرين (محمد) ، فضلا عن ان سلطـــان مسقط عين من قبله ابنه واليا على مدينة المحرق . مما دعا اتباع الوهابيين (القواسم (٢)) مهاجمـــة المحرق وطرد ابن السلطان . ويمكن القول بان القتال الذى حدث بين سلطان مسقط والقواسم كـــان بداية لتوسيع الدوله السعوديه الاولى ، حيث اعلن رؤساء ساحل عمان موازرتهم لمبادى الدعـــوة الوهابية ، وقبولهم امتداد النفوذ الوهابى عليهم مما جعل الوهابيون يقيمون نائبا عنهم فى البحريـن وهو عبد الله بن عفيصان والذى استخدم الشده فى جمع الضرائب التى قررها الوهابيـــــــون

١ــ ابو حاكمه : المرجع السابق ص ١٩٥ ــ ١٩٨ .

٢ــ القواسم : هم الذين سكنوا ساحل عمان الداخلى (الساحل المهادن فيما بعد) وهم فرع مـــن الحواله وكانوا يحتلون الساحل الفارسى من جمبرون حتى راس بردستان ويرجع تسميتهم بالقواســم نسبه للشيخ قاسم جد الشيخ راشد مطر الذى كان مقره حلقا أو (راس الخيمه) .
د . صلاح العقاد : التيارات السياسيه فى الخليج العربى القاهره ١٩٦٥ ص ٩٨ .

عليهم (١) ، مما دعا الاهالى الى الاستياء منه .

هذا وقد تمكن السيد عبد الرحمن بن راشد آل خليفه بمساعدة سلطان مسقط من الوصول الى سدة الحكم وطرد نائب الوهابيين من البحرين (٢) .

ولكن عبد الرحمن بن راشد دفع لسلطان مسقط مقابل مساعدته ربع مليون روبيه كضريبه سنويه .

ومع ذلك فقد واجه سلطان مسقط الكثير من التحديات حيث تمكنت التكتائب الوهابيه من الانتشار والتوسع فى اقليم الظاهره واستيلائها على البوريمى والذى أدى الى سيطرة اتباعهم القواسم على مياه الخليج .

وبناء على ذلك فقد آخذ التفكير فى أوربا يدور حول ادخال احداث الشرق العربى فى الصراع الدولى الناشب فى ذلك الوقت بين فرنسا وانجلترا وكانت سياسة نابليون تقوم على محاربه انجلترا بتأليب كافة القوى المحليه فى الشرق العربى وجنوب شرق آسيا على انجلترا .

ومن هنا كانت بعثه الجنرال الى الهند عام ١٨٠٣ للاتصال بتيبو صاحب الثائر فى جنوب الهند ضد النفوذ البريطانى . وهذا الاتجاه الى جانب اتفاقيه نابليون مع القيصر اسكندر فى تلست عام ١٨٠٧ على تقسيم الامبراطوريه العثمانيه ، هو الذى دفع نابليون الى ايفاد بعثه دى لاسكارس الى الوهابيين ، ووصل لاسكارس الى الدرعيه فى اواخر عام ١٨١١ — وتمت بينه وبين الوهابيين اجتماعات سريه متعدده واقترح لاسكارس على الامير السعودى أن يعاون فرنسا حول تقسيم الامبراطوريه العثمانيه من ناحية وعلى معاونه الوحدات الفرنسيه التى قد تتمكن فرنسا من ارسالها الى الهند ، وقد كانت عروض لاسكارس مغريه بالنسبه لسعود ، فهو يمكنه الاعتماد على فرنسا اذا غزا سوريه أو العراق ، وعلم ممثلو بريطانيا فى جده والسويس وعمان بهذه المفاوضات واحاطوا حكومتهم علما بها ، مما جعل الحكومه البريطانيه ان تسارع

فى ايفاد وزير خارجيتها الى الدرعيه والذى حاول اغراء سعود بالاعتراف باستقلاله دوليا اذا امتنع عن غزو ممتلكات الدوله العثمانيه والتحالف مع فرنسا .

لكن سعود ، رفض العرض البريطانى ، وقام بغزو سوريه والعراق فى اواخر عام ١٨١٢ ووصل فى غزوته الى حدود حلب من ناحية وكربلاء من ناحيه اخرى ، والتى لم تسفر عن شىء يذكر وذلك لان فرنسا لم يكن فى مقدورتها تقديم مساعده له انذاك (١) .

ذلك مما أقلق السلطان العثمانى وجعله فى مواقف المطالب بالدفاع عن الولايات العربيه وكذلك عن العالم الاسلامى ضد هذا الخطر الزاحف من وسط الجزيره العربيه ، فاوعز الى محمد على والى مصر ليقاتل الوهابيين ، وبعد بضع محاولات فاشله تمكن جيش محمد على من الانتصار على الوهابيين وعلى الامير سعود الذى استشهد فى المعركة .

وفى عام ١٨١٥ أقر خليفته بالولاء للباب العالى ، ولكنه رفع راية الثورة من جديد . لذلك عزم حاكم مصر على استئصال الثورة من جذورها فدفع بجيشه بقياده ابنه ابراهيم باشا والذى أستولى على الدرعيه مركز الدعوة وانهاء الدوله السعوديه الاولى عام ١٨١٩ (٢) .

ويتضح مما سبق ان محمد بن عبد الوهاب عندما جهر بالدعوة السلفيه اختار لها القيادة السياسية حين تحالف مع سعود الكبير عام ١٧٤٤ وأخذ يناوئ العثمانيين والعمل على توحيد الجزيرة العربيه ، واخذت قواته تغير على العراق وسوريه ، فكانه كان فى سياسته كما كان فى دعوته الدينيه سلفيا ، وكانت تنظر الدوله العثمانيه صاحبة السيادة الاسميه على الجزيرة العربيه الى دعوة ابن عبد الوهاب فى بادىء الأمر على أنها لا تخرج عن مشكلة تنافس بينها وبين المذهب الزيدى الذى كان يتبعه شريف مكه ، ولكن عندما استعجل أمر الدعوه قررت الدوله العثمانيه عقد مجلس الشورى العثمانى ، أى أن الدولة العثمانية كانت تتخذ قراراتها السياسية عن طريق مجالس نوابه ولكن كان فى الحقيقه هذه المجالس قد هيمن عليها رجال غير اكفاء مما جعل معظم قراراتها جوفاء ، فنجد أن السلطان يتخذ قراره بعقد مجلس الشورى ولكنه لم ينتظر انعقاده ، حتى اصدر قراره بالمقاومه المسلحه لاتباع دعوة ابن عبد الوهاب . ونجد ايضا

١ــ د . محمد انيس : المرجع السابق ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

٢ــ د . عزه النص : الوطن العربى ص ١٢٩ دار اليقظه العربيه للترجمه والنشر يونيه ١٩٥٩ .

أن شيخ الاسلام والذى عقد فى داره مجلس الشورى لم يكن ملما أو متفهما الحقيقه دعوة ابن عبد الوهاب كما نجد أن بعض الحاضرين بمجلس الشورى قد أوضح صحة دعوة ابن عبد الوهاب لكن فى الوقت نفسه قد سيطرت على المجلس روح العصبيه التركيه وكان ذلك طبيعيا فلم يكن للتركى من مرونة الطبع حتى يدرك روح الاسلام فى الحكم والسياسه تلك الروح التى تتمثل فى فهم الدين الاسلامى فهما صحيحا • ولم تنجح فى اتخاذ قرار من شأنه استئصال اتباع ابن عبد الوهاب وجهل الاتراك بروح الاسلام رغم تمسكهم الشديد بشعائره وتعصبهم له هو الذى ادى بهم قيام بعض الحركات الاصلاحيه والدعوات الدينيه التى منها دعوة ابن عبد الوهاب •

واذا كانت الدولة العثمانيه لها مجالسها النيابيه فهى مجالس ضعيفه لا تملك القرارات المناسبه حتى نجد ان السلطان يلمح على محمد على فى استئصال اتباع دعوة ابن عبد الوهاب •

المصادر والمراجع العربية

١- اثر خامه احمد جودت :د ولتعليه ١٢٠٥ - ١٢٠٩ النص التركى الجزء السادس ، السابع الثامن ،التاسع .

٢- احمد ابو حاكمه : تاريخ شرقى الجزيره العربيه نشاه وتطور .
ترجمة محمد امين عبد الله منشورات دار مكتبة الحياه بيروت مارس ١٩٦٥.

٣- امين الريحانى : تاريخ نجد وملحقاته - الطبعه الخامسه - بيروت ١٩٨١ .

٤- صلاح العقاد : التيارات البابيه فى الخليج العربى .

٥- عبد الرحمن الجبرتى :عجائب الاثار فى التراجم والاخبار - القاهره ١٩٦٥.

٦- عبد الرحمن الرافعى :عصر محمد على - الطبعه الثانيه ١٩٤٧ .

٧- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدوله السعوديه الاولى . دار الكتاب الجامعى الطبعه الرابعه ١٩٨٢.

٨ -عبد المتعال الصعيدى:المجددون فى الاسلام من القرن الاول الى القرن الرابع عشر المطبعه النموذجيه - دون تاريخ اصدار .

٩- نصره النص :الوطن العربى - دار اليقظه العربيه للترجمه والنشر سوريه ١١٩٥٩

١٠-عبد الحليم الجندى :الامام محمد بن عبد الوهاب - دار المعارف ١٩٧٨.

١١-عثمان بن بشر:عنوان المجد فى تاريخ نجد - الجزء الاول - ١٩٥٩ .

١٢-د . محمد انيس:الدوله العثمانيه والشرق العربى - مكتبة الانجلو ١٩٥٨ .

١٣-محمد حامد الفقى :اثر الدعوة الوهابيه فى الاصلاح الدينى والعمرانى .

١٤-لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب - لمؤلف مجهول - المطابع الاهليه - بدون تاريخ اصدار .

بحوث ودراسات

١-مقال د . بدر الدين عباس عن محمد على والخليج العربى - مجلة كلية الاداب والتربيه جامعة الكويت العدد الخامس يونيه ١٩٧٤.

٢-مقال رابح لطفه جمعه عن جيش محمد على فى الجزيره العربيه - الداره - العدد الرابع مايو ١٩٧٨ .

٣-مقال محمد عبد الله ماضى - دلة اليمن - المجله التاريخيه المصريه ١٩٥٠